دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	النقد الموضوعاتى: الأدب بين علم الإجتماع وعلم النفس
المصدر:	قوافل
الناشر:	النادي الأدبي بالرياض
المؤلف الرئيسي:	رمضان، صالح
المجلد/العدد:	ع31
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2015
الشهر:	مايو
الصفحات:	32 - 39
رقم MD:	714151
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex, AraBase
مواضيع:	التفكير، التفكير الموضوعاتى، علم الأجتماع الأدبى، علم النفس الأدبى
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/714151

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

النقد الموضوعاتي

الأدب بين علم الاجتماع وعلم النفس

أ. د. صالح رمضان –تونس

لقد اخترنا أن نقدّم في هذا المبحث أسس التفكير الموضوعاتية لأنه من المناهج النصية التي تقيم علاقات جديدة بين مجالات معرفية كانت من قبل متمايزة. ويلحظ الباحث العربي في بعض الأبحاث التباساً بين مفهوم الموضوع في دلالته الإنشائية (البويطيقا)، وهو ما يطلق عليه باللغات ذات الأصول اللاتينية التيمة أو الثيمة (Theme -Théme)والموضوع في دلالته اللغوية العامة (Sujet). فعبارة الموضوع في دلالته العامة ليست من المصطلحات الإجرائية أو النظرية المستخدمة في الدراسات الإنشائية المتصلة بالموضوعاتية. ويمكن أن نعود في عرض تاريخ مفاهيم هذا المرجع النقدي في مراحله المختلفة إلى المقال المتميّز الذي كتبته مارسال ماريني (Marcelle Marini) واستعرضت فيه أسس النقد التحليلي النفسي، وخاصة المقال التأليفي لدانيال برجز (Daneil Bergez) في المرجع نفسه عن التداخل المعرفي بين الموضوعاتية عند (قاستون باشلار) وجون روسي (Jean Rousset)وجان بيار ريشار (J. P. Richard) [1] وهو مقال ذو قيمة إنشائية. ومن المعلوم أن أعمال (باشلار) تمثل في تاريخ الفكر العلمي الحديث أهم مورد من موارد الدراسات الموضوعاتية، وفي مقدمتها كتابه الشهير (تكوين العقل العلمي). فقد استعرضت الباحثة مراحل تطوّر علم النفس التحليلي خلال قرن من الزمن، بداية بجهود (سيقمان فرويد) في قراءته لمسرحية (سوفوكليس) ومسرحية (هاملت) لشكسبير و (الإخوة كارمازوف) لدوستويفسكي، وتحديده لملامح عقدة أوديب. وبيّنت تأثير هذه اللبنات الأولى في تاريخ نظرية التحليل النفسي، ودورها في فتح المجال أمام الباحثين في علاقة هذا الضرب من التحليل بالأساطير بما هي أعمال لغويّة رمزيّة، وبالمتخيّل الفردي والجماعي في مختلف الأعمال الأدبيّة. وهذا المتخيل هو آلة إنتاج الموضوعات الأدبية في مختلف الأجناس.

إلاّ أنّ الدراسات الموضوعاتية النفسيّة والاجتماعية، تتّجه اليوم أكثر فأكثر إلى إعادة النظر في الخطاب الأدبي، بالاستناد إلى المقولات النفسيّة اللغوية التي انصرفت إلى الاهتمام باللاوعي في التلفّظ في الأدبي. وانّ المقاربات الموضوعاتية تتّجه منذ الستّينات من القرن الميلادي المنصرم إلى جعل موضوع التفاعل بين الأدب والعلوم الاجتماعية والإنسانية موضوعاً ذا فوائد (إبيستيمولوجية)، من ذلك أن البحث في التقارب بين علم الاجتماع والظاهرة أو الحدث الأدبي، يتناول من زاوية أنّ كليهما خطاب عن المجتمع أو حدث أو عمل اجتماعي، وكان لأعمال روبرت إيسكاربيت (Escarpit R.) ومجلة (سياق) أثر بعيد المدى في نشأة علم جديد، سمّي بالموضوعاتية الاجتماعية أو عالم الاجتماع الاختباري. وقد فتح مجالات التفكير في موضوعات من قبيل: سوسيولوجيا الأدب الصادر سنة 1958 م والحدث الأدبي والحدث الاجتماعي الصادر سنة 1970 م. وقد تمكن من مدّ الجسور بين علم الاجتماع والأدب عبر علم الأدب المقارن، وقد عرّفه بكونه العلم الذي لا يفيدنا عن حياة مجتمع ما بقدر ما يفيدنا عمّا تحققه العلاقات بين الناس في ثقافات مختلفة من ثراء اجتماعي.

لكن الموضوعات الاجتماعية أو علم الاجتماع الأدبي قد حقق نتائج جاوز بها الأدب المقارن، وذلك باهتمامه بمادة أدبية غير عالمة. وقد مكنت الدراسة البينية في هذا المجال من طرح أسئلة من قبيل: كيف يمكن أن يقرأ الخطاب الاجتماعي الظاهرة الأدبية؟ كيف يمكن للخطاب الأدبي أن يقدّم معارف تفيد الحدث (السوسيولوجي) كيف يتحوّل الاهتمام بالنسبة إلى العلوم الإنسانية من السؤال عن ماهية الأدب إلى السؤال عما نفعل بالأدب؟ أو ماذا يمكن أن نفعل بالأدب؟

وتعود النشأة الأولى للفكر الموضوعاتي إلى الخمسينات من القرن العشرين [2] وذلك في سياق النقد الجديد، وقد تأثر أصحابه بعلم النفس التحليلي، وبفلسفة الفكر الظاهراتي، ولكنهم سعوا إلى الاستقلال عنه. وتأسّس النقد الموضوعاتي في النظريات الإنشائية الحديثة ليعالج إحدى الإشكاليات الكبرى في قراءة مضامين الأدب وتقطيع العالم الأدبي الذي يقوم عليه النص، وليجيب عن السؤال المعرفي الكبير الذي طرحته الدراسات النصية، وهو الآتي: هل يمكن أن يكون الموضوع الأدبي ابتكاراً من المبدع، يلفت من خلاله نظر القارئ إلى ظاهرة من الظواهر الثقافية أو الاجتماعية؟ هل مضمون الخطاب الذي نقرؤه في نص من النصوص هو من إنتاج المبدع وهو من الفكر المميّز له أو هو نظام رمزي، وبذلك يمكن للناقد وللقارئ عامة أن ينتج دلالة النص وأن يبني موضوعاً من خلال النص، بصرف النظر عن مقاصد المبدع، مهما يكن الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه النص؟ ويمكن أن نرى في الفكر الرومنسي الألماني وفي امتداده عند (هيديجير) أصلاً من الأصول التنظيمية للفكر الموضوعاتي، فقد ذهبوا إلى أن الموضوع الأدبي هو وعي بالنص وإحساس روحي بالكتابة على نحو ما نجد عند (جان جاك روسو) و (مارسيل بروست). وقد كان للمفكر الفرنسي (قاستون باشلار) الفضل في وضع الأسس الأولى لهذه المقاربات؛ بصفته أوّل من وضع للتفكير الموضوعاتي أطراً منهجية عامة؛ بتناوله لقضايا الفضاء والزمان والعناصر الأربعة: النار والهواء والتراب والماء، وهي العناصر المكونة للثقافة الموضوعاتية في مختلف التجارب الكتابية الكلاسيكية والحديثة.

- الماء = الحركة والخصوبة ومصدر الحياة الشفافة.
- النار = الحرارة والخصوبة والضياء (النور).
- الهواء = الاتساع والحركة والارتفاع والأحلام.
- التراب = الخصوبة والأصالة والفضاء الحاضن للتجربة والواقع.

وقد ذهب (قاستون باشلار) إلى أن الموضوع في أي نوع من أنواع الأدب هو أولاً تجربة قرائية أكثر مما هو معرفة علمية؛ ولذلك يمكن لنصّ واحد أن يكون فيه أكثر من موضوع، بحسب التجربة القرائية، كأن نقرأ معلقة امرئ القيس من موضوع الخصوبة، وطقوس العبور من القحط إلى الخصوبة من منظور (أنتروبولوجي)، أو موضوع المرأة ومغامرة الوصل الغنائي من منظور اجتماعي، ذاتي، أو موضوع الفتوة الجاهلية من منظور اجتماعي، قبلي.

والموضوع ليس معطى قبليّا مثل الفرض الأدبي، بل هو صيرورة قرائية وإنتاج خاصّ بثقافة القارئ وبخصائص تلقّيه للأثر، فالفرض في القصيد نظام معنوي مقصود لذاته في نية الشاعر أو الكاتب، كالمدح والغزل والرثاء والهجاء وغيرها من مقاصد الشعر والنثر التي لا تكون بالضرورة موضوعات، أو من تيماته، ولكن يمكن لنا أن نقطّع الخطاب من خلال موضوعات، يشي

بها مخيال الشاعر. إنّ الموضوع هو أوّلاً إدراك متميّز للعالم، ومن هنا جاءت نظرة (باشلار) إلى الموضوعات نظرة جمالية. فالموضوعاتية تقسم العالم وفق ثمانية أسس للإدراك الجمالي:

1. العالم في أبعاده المكانية والزمانية: الماضي والحاضر والمستقبل والخلف والأمام، وفوق وتحت وبين بين، والاتساع والانغلاق.
2. العالم ظواهر وعلامات: القوة والضعف، العدد والفرد، العزلة والاجتماع، الصخب والصمت، النور والظلام.
3. العالم والأبعاد الأربعة: الماء والنار والتراب والهواء.
4. الحلم والحقيقة، الحياة والموت.
5. الواقع والخيال.
6. المادة والروح.
7. العقل والعاطفة.
8. الذاتي والموضوعي.

وقد عرف (جان بيار ريشار) الموضوع بأنه إحدى الوحدات الدلالية التي يمكن استخلاصها من النص، وفق مبدأ تنظيمي، يتشكل حوله العالم الأدبي للمبدع [3]

الموضوعاتية والنقد الاجتماعي:

تلتقي المقاربة الموضوعاتية ومنهج النقد الاجتماعي في ثلاثة مستويات:

1-1 الظاهرة الاجتماعية والظاهرة الموضوعاتية: تتناول الدراسة الاجتماعية موضوعات الأدب بما هي ظواهر ثقافية أو جمالية أو تيمات اجتماعية، كتيمة الصداقة أو الغربة أو الحنين إلى الأوطان أو تيمة الحبّ في الغزل أو تيمة الشعوبية في الهجاء أو الحرب في شعر الحماسة أو الطفولة في الشعر الغنائي الرومنسي وفي الترجمة الذاتية ولكن الدراسة الموضوعاتية تبني أسسها المفهومية للظواهر الجمالية على تتبّع ما سمّاه (باشلار) بالخيال أو المخيال الموضوعاتي، فالنص الأدبي يتضمّن متتاليات موضوعاتية أو تيمات، ينتجها خيال المبدع، وينثرها في النص، ويعيد القارئ جمعها وبناءها في خطاب نقدي تحليلي. وفي ضوء هذه الظاهرة تبنى الدراسة الموضوعاتية على مفاهيم اجتماعية مستمدّة من الظاهرة نفسها، فتقسمها إلى وظائف صغرى، منها من ظاهرة الحب أو تيمة الحبّ:

- **الوصل والهجر**: (موضوعان فرعيان أو موتيفان من موتيفات الشعر وقصص العشاق النثرية)، وتتمّ دراستهما بإحصاء الأبيات أو المقاطع والأخبار التي تصور هاتين الظاهرتين: المحبّ –الرقيب –الوصل –الهجر وما بينهما من صراع مع المجتمع وأثره في هذه الظواهر، ومن هذه الموضوعات كذلك موضوع الحرب أو تيمتها:

- البواعث على الحرب –الفضاء الحربي –المعركة –الانتصار والانهزام.

- موضوع الصداقة (تيمة): يمكن دراسته باستخدام مفهوم الحساسية التخييلية عند (جان بيار ريشار):

أ. الصداقة والموضوعات المجاورة لها: الأخوة –العصبية –الرابطة الاجتماعية.

ب. الصديق والمجتمع.

ج. الصداقة والقيم.

د. الصداقة وكتابة الأدب.

هـ. الصداقة بين الواقع والمثال.

2-1 الوعي بالعالم: يركز (جان بيار ريشار) كتابته الموضوعاتية على مسألة الوعي بالعالم؛ بصفته محركاً لبناء الموضوعات في مختلف أجناس الكتابة الأدبية، وهذا الوعي، يغذّيه الخيال وقدرة المبدع على تنظيم مكوّنات العالم من خلال ذلك الموضوع. وتلتقي نظرة (جان بيار ريشار) و (قاستون باشلار) في الوعي التخييلي بالعالم، من خلال خصائص العناصر المكوّنة للصفات المادية للأشياء، من ذلكَ مثلاً –أنّ الوعي بصورة المكان في الرواية أوفي الشعر ينتظم من خلال الفضاءات السائلة، كالماء الجاري أو المياه الجامدة أو الأمكنة المظلمة، أي: التي ينقصها النور، أو الأمكنة المضاءة، أو المرتفعة (تحليل مارسيل بروست لرواية التربية العاطفية لستندال) أو الكائنات الطائرة، أو الفضاءات المنفتحة. ويمكن للوعي بالعالم أن يظهر في متتاليات من الأفعال والأسماء المتقاطبة والمتشاكلة في النصّ الأدبي، أمثلة:

موضوع الخوف: الأفعال: خاف –اعتذر–قلق –فرّ–اختبأ –استعطف –الأسماء: الخوف –القلق –الليل –الوحشة الندم – التوجس –الهروب –الاعتذار... ويمكن من خلال هذه المعاجم، المكوّنة للأفعال وللأسماء، أن نبني الموضوعات الأدبية.

1 -3 مجاوزة ثنائية المضمون والأسلوب:

إنّ تجربة الكتابة في موضوع أدبي هي تجربة جمالية، ذاتية، يلتزم فيه "الأنا" [4] المبدع بالشكل والمضمون معاً؛ لذا تبطل الدراسة الموضوعاتية الفصل بين الشكل والمضمون، وقد دحض (مارسيل بروست) مقولة سانت بوف (Sainte Beuve) الأسلوب هو الإنسان، لوضع مقولة جديدة، أكثر تعبيراً عن الفكر الموضوعاتي، وهي الأسلوب هو الموضوع نفسه أو هو نظرة المبدع إلى الموضوع نفسه. ويرى أن الاستعارة أو التشبيه أو غيرهما من الأساليب التصويرية ونظم التمثيل إنّما هي جهات، ينظر منها

المبدعون إلى الموضوعات، فالموضوع في أي أثر من الآثار الأدبية هو المعدّل العام للاستعارات والتشبيهات المستعملة في ذلك الموضوع.

ونلحظ في المجال السردي —مثلاً –أن انتظام الموضوعات يمكن أن يكون من خلال التجربة النفسية الملموسة، كتجربة الخوف في عالم البخلاء، فالخوف في قصص الجاحظ موضوع أو تيمة من التيمات التي تنتظم فيها أوصاف شخصيات البخلاء ونظرتهم إلى العالم، والعفة في قصص العشاق في طوق الحمامة لابن حزم فرع موضوعي من موضوعات التجربة في موضوع الحبّ.

2-الموضوعاتية وعلم النفس الأدبي:

يمكن أن ننطلق في تعريف النقد الموضوعاتي في صلته بالنقد النفسي من تعريف (دانايل برجيز) فهو يقول: "وفي الحقيقة فإنّ نقاط الالتقاء بينهما مهمّة، فهناك الاهتمام المميّز ذاته بالصور والرغبة ذاتها بتجاوز المعنى الظاهر للنصوص واعتماد القراءة العرضانية للأعمال الأدبيّة، (أي: قراءة العمل قراءة أفقيّة) وهي قراءة تسمح بعقد المقارنات وإظهار التشكيلات التصويريّة والترسيمات الغالبة .... لكنّ هاتين المقاربتين تتعارضان جذريا في مسألة العلاقة بين الذات المبدعة وعملها الأدبي؛ إذ يميل التحليل النفسي إلى النظر إلى العمل الأدبي بما هو جملة معقّدة، تحيل على وضع نفسي سابق، وتلعب دوراً تصعيديا، فالفنّ عن طريق الإيهام، يدفع بالرغبة المكبوتة إلى التعبير عن ذاتها، وعلى العكس من ذلك يرى (قاستون باشلار) وهو أحد مؤسّسي الفكر الموضوعاتي، أنّه لا يجب ردّ الصورة إلى تكوّنها وربطها بما يسبقها، بل التقاطها عند ولادتها ومعايشتها في صيرورتها" (5).

إن هذه المقولات، تعارض النظرة النصّانية أو الشكلانية للأدب، وقد استند أصحابها مثل جورج بولي (George Poulet) و (جان روسي) وجان ستا روبنسكي (Starobinski) إلى أعمال (قاستون باشلار)، وتذهب هذه الرؤية الموضوعاتية إلى أنّ الكتابة الأدبيّة ليست بصناعة لفظيّة أو أسلوبيّة على نحو ما يرى الشكلانيون وأصحاب النقد الجديد وعامّة البنيويين من إنشائيين ونصّانيين، وإنما الكتابة الأدبيّة أو القول الأدبي عموماً هي أوّلا تجربة نفسيّة أو روحية وثقافية (6).

إنّ العودة إلى المنهج الموضوعاتي من وجهة النظر النفسانيّة ترمي إلى التنبيه على إهمال الدارسين المتخصّصين في الأدب القديم بعامّة وفي النظريات المقصديّة بخاصّة إلى مسلك مهّم من مسالك دراسة هذا الجنس من النصوص، وهو ذلك الذي يرى في اللغة الأدبيّة على اختلاف فنون القول والكتابة مصدراً مناسباً لكلّ عمل تأويلي، يهدف إلى استبطان الذات البشريّة في أعماقها النفسيّة، في وعيها وفي لاوعيها، في أحلامها التي تبنيها من خلال الأنظمة الرمزيّة في الشعر والأسطورة والخرافة وغيرها من وسائل التعبير.

وقد وجدنا في بعض الدراسات العربيّة التي سعت إلى الاستفادة من المنهج النفساني في صيغته الأولى مع (فرويد) أوفي صيغه ا المتأخّرة، وخاصّة صيغة (كارل يونغ) ما يمكن أن نعدّه نماذج ناجحة في نقل الأصول النظرية وفي تطبيقها على النصوص الأدبيّة العربيّة، ويمكن أن نذكر في هذا السياق –على سبيل التمثيل لا الحصر –تحليل مصطفى ناصف للصورة الأدبيّة في الشعر العربي، فقد ميّز الباحث ببراعة نادرة الخيال البياني أو التركيبي أو الصناعي من الخيال الشعري أو الإبداعي بين الأدبين القديم والحديث في الاتجاه الإحيائي والرومانسي، وسعى إلى النظر في نماذج من الشعر القديم والحديث، من خلال استفلال الطراز

النفساني، على وجه لا يخلو من نفس تأصيلي لافت للانتباه، وفي الفصل السادس من كتابه (الصورة الأدبيّة) تحليل تأليفي رصين لإحدى قصائد إلياس أبو شبكة، وازن فيه الباحث بين نظام الصور في القصيد ونظام الرموز التي تحيل عليها، و منها على وجه التخصيص إحالة هروب الفتاة التي يتحدّث عنها الشاعر إلى البحر على رغبة الشاعر في العودة إلى الرحم، باعتباره حلماً من أحلام الفرد بإزاء قيم الجماعة [7]، وقد كان الشيخ ناصف على وعي حادّ بحدود هذا المنهج، فختم تحليله بقوله: "وأنا حريص على ألا يحيل تطبيق النصّ الأدبي إلى وثيقة تخضع طائعة أو كارهة لنظريات معيّنة، فإنّ النصّ دائما ذو كيان فردي وإضافة جديدة، وكثيراً ما لا ينتهي إلى نقطة حاسمة في أمر التطبيق ولن يؤدّي إلى زعزعة طائفة من المثل الأولى للتجربة" [8].

3-علاقة الموضوع بالعالم:

لا تخلو نظرة (قاستون باشلار) إلى إنشائية الكتابة من الناحية الموضوعاتية من بعد بيني، فهو يذهب في تحليل جمالية الفضاء [9] إلى أنّ العلاقة بين اللغة والكتابة والتجربة هي التي تحدّد زاوية نظر المتكلم إلى الفضاء، وبذلك يكون المكان موضوعاً أدبيًّا، أي: ظاهرة جمالية في إدراك الأشياء، لا بما هو مكان محايد، بل بما هو زاوية نظر (مكان الطفولة –الباب الموارب – السقف –الركن المنسي –الغرفة عند الاستيقاظ من النوم –المحطة قبل انطلاق القطار –المطار ولحظة الوداع –الحديقة المقفرة – ظلال الشجرة وحكايات الصيف). وهي زوايا نظر، تتناول ما يمكن أن نسمّيه بالجغرافيا العاطفية والجمالية، كالفضاء المدني، وكالأطلال في القصيد البدوي، والفضاء المجلسي في نوادر القصور والبلاطات وأدب المنادمة والمطارحات والمفاكهات، وكالمجالس الأدبية في المقامات، وفضاء الذكريات في أدب السيرة الذاتية والمذكرات واليوميات والفضاءات في الرواية الحديثة، وهي موضوعات أدبية أو تيمات، تصور الشوارع والأحياء والأرباض والمقاهي والأمطار التي تنزل على المباني وألوان الفوانيس المعلّقة في الشوارع، وسائر ألوان المعمار في المدينة، وحركة الإنسان في فضاء المدينة، وضياع الفرد وغربته في الأماكن العامة.

وانّ المبدع يسعى بخطابه عن المكان أو الفضاء إلى تأثيث المكان بالتجربة الروحية التي يعيشها مع أفكاره وأحاسيسه في ذلك الفضاء، فيؤثثها بالنسيب في المكان الطللي وبالتطفّل والكدية والتطرح في الفضاء المجلسي الحضري (المقامات) وبأدب المفاضلات والمناظرات في المجلس الجادّ (الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي).

إنّ الموضوع الأدبي في النقد الموضوعاتي هو وعي بالعالم على نحو من الأنحاء، وهو كما يرى (قاستون باشلار) علاقة ذاتية واعية بالعالم، فاللغة تتضمّن معطيات متعددة، يمكن أن ننظر إليها من زوايا مختلفة، أي: يمكن أن ينظر المبدع إلى القطب الدلالي الواحد من خلال علاقات، أي: تيمات أو موضوعات مختلفة، وفي هذا السياق يقولِ (جون بوليه) في كتابه (بيني وبين نفسي): "قل لي كيف تتصور الزمان والمكان، أوقل لي أيضا كيف تقيم الصلات مع العالم الخارجي، وسأقول لك من أنت" ويذهب عامّة الموضوعاتيين إلى أنّ الحواسّ التي نصوغها في متخيّل ما، هي التي تدفعنا إلى تنظيم العالم في موضوعات بعينها.

أمثلة: *الرحلة في القصيد القديم:

- استكشاف للمكان وللفضاء (موضوع /تيمة 1)، فكلمة رحلة، تتضمّن معنيين متشاكلين، هما: المعنى الزمني أو الحركة في الزمن والمعنى المكاني أو الحركة في المكان.

- رمز للرحلة في الزمان (موضوع / تيمة 2).

- الهروب من المكان والزمان (موضوع /تيمة 3).

*** الحب في الغزل القديم**:

- علاقة اللفة بالجسد (موضوع /تيمة 1: الغزل الإباحي).

- علاقة اللغة بالروح (موضوع /تيمة 2: الغزل العفيف).

*** السعادة في الشعر الرومنسي**:

- الطفولة: التعبير عن الحركة الحسية في السعادة، أي: تصوير العالم وهو يتحرك حسيا ويستعمل الاستعارات الطفولية أو الرمزية.

(موضوع إحساس بالسعادة والحرية /تيمة 1).

- الحلم (موضوع /تيمة 2).

- الطيران: تجربة استعارية في التعبير عن السعادة (موضوع /تيمة 3).

*** الغربة في النثر العربي القديم**:

هي علاقة تجربة انقطاع، تقابل موضوع الصداقة، وهي علاقة تجربة اتصال:

- الغربة الاجتماعية: التعبير عن الحالة الحسية في الغربة، أي: تصوير العالم وهو ينفصل حسيًّا عن الذات أو العكس (موضوع /تيمة 1). ويكون موضوع الجسد الفعلي والجسد الرمزي مادّة من موادّ قراءة هذه الغربة.

- الغربة الفكرية (موضوع /تيمة 2).

- الغربة الروحية: التعبير عن الحالة الروحية في الغربة، أي: تصوير العالم وهو ينفصل روحيًّا عن الذات أو العكس (موضوع /تيمة 3).

وبعد فإنّ النقد الموضوعاتي مقاربة قرائية، بينية للخطاب الأدبي، هو مقاربة بينية؛ لأنه يتناول الظاهرة الأدبية بما هي موضوع معقّد، متعدّد الجوانب؛ لأنه موضوع تجربة إنسانية، ذات قيمة نفسية واجتماعية وجمالية، ولأنه ينظر إلى العالم من خلال موضوع يختاره القارئ، ليصل منه إلى تجربة المبدع الاجتماعية أو النفسية أو الثقافية. والموضوع الأدبي أو التيمة إذن، ليس بالضرورة

اختياراً من اختيارات المبدع، بل يمكن أن يكون تقطيعا قرائيّا للنص الأدبي، فهو أكثر التصاقاً بالذات القارئة منه بالذات المنتجة للأدب.

إنّ الموضوع حيز بينية لأنه خلاصة الروافد الثقافية والاجتماعية والنفسية، ولأنه حركة الفكر المتجهة إلى قراءة أثر من الآثار، وهو أخيراً عنوان من عناوين الرغبات القرائية، ونظرة المتلقّي للنص، من زاوية نوع الخطاب وجنس الكتابة. ويمكن للنص نفسه أن تتراكب مستويات تقطيعه الموضوعاتي، فيكون ذلك مظهراً من مظاهر ثرائه الثقافي والجمالي.

الحواشي:

(1) مجموعة من الكتاب: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، سلسلة عالم المعرفة، العدد (221)، تعريب رضوان ظاظا، ومراجعة المنصف الشنوفي (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ذو الحجة 1417 هـ/ مايو. آيار 1997 م)، ص 49-94.

(2) وان كنا نرى أن مفهوم الوظيفة في السرديات الشكلانية الروسية يمكن أن يكون رافدا من روافد النقد الموضوعاتي؛ لأن الوظيفة هي أصغر وحدة دلالية في الحكاية، مثل: الأخذ بالثأر في قصص الأيام. أو التعرف على الضحية في الرواية البوليسية، أو الهجر في قصص العشاق.

(3) عالم مالارمي الشعري، ص 110.

(4) لا صلة لعبارة (الأنا) في التحليل النفسي بضمير المتكلم المفرد، فالضمير المفرد كسائر الضمائر معرفة، وهولا يحتاج إلى تعريف، أما (الأنا) في التحليل النفسي فهو وحدة شعورية، ومنطقة من مناطق الوعي الثلاث، وهي: الأنا الأعلى (وهو الضمير الاجتماعي الخارجي)، والهو (وهو اللاوعي)، والأنا (وهو الوعي الفرد أو الضمير الذاتي).

(5) النقد الموضوعاتي، ضمن (مدخل إلى مناهج النقد الأدبي)، ص 105.

(6) المصدر نفسه.

(7) مصطفى ناصف: الصورة الأدبية (بيروت: منشورات دار الأندلس، د. ت)، ص 177 -180.

(8) السابق، ص 180.

(9) نذكر بأنّ كتاب باشلار هذا يندرج في مشروع تحليلي جمالي متكامل العناصر ضمن ما يعرف بالفكر الموضوعاتي، وفي هذا المشروع ألّف باشلار مجموعة من المصنفات الجمالية، تناول في كلّ واحد منها عنصرا من العناصر الأربعة المعروفة، وهي: الماء، والهواء، والتراب، والنار.